(١٩)

كلمة القيام
النور المدثر بالظلام
أزلي رحمته الإنسان
الأول والآخر في النشأة والقيام

حديث الجمعة

١٤ رجب ١٣٨١ هـ - ٢٢ ديسمبر ١٩٦١ م

أعوذ بالله من شرور نفسي، ومن شر ما خلق، وأستعين بالله معيتي يوم أحيا وأصدق. ويوم أستيقظ وأصدق. ويوم أتحرر وأخلُص. ويوم من شر ما خلق أتخلَّص.

أما بعد فها نحن نتلاقى في مثل هذا اليوم من كل أسبوع في دورة الأيام. تقطعنا الأشهر والسنين، أو نقطعها. فماذا كسبنا من هذا اللقاء؟ وماذا نرجو أن نكسب من هذا التلاقي؟ وماذا نأمل ونرجو لأنفسنا من الله في مواصلة هذا الاتصال بمعاني السعي إليه والمجاهدة فيه؟

إن الإناء المليء لا يتقبل المزيد، فهو مليء، ولكن الفارغ هو المتقبل للمزيد والامتلاء. فإذا فرغت فانصب والى ربك فارغب.

إن الماء القذر يملأ الإناء لا يصلح للإناء الكريم، أو لا يصلح الإناء الكريم له، اللهم إلا أن يتطهر هذا الماء من قذارته. فالقذارة غير الماء، ولا طهارة للماء من القذارة إلا بتبخيره، فإذا بخر من إنائه، واُستقبل التكاثف في إناء آخر فقد الإناء ماءَه، وأصبح من الماء فارغا، وأصبح بالقذارة محتفظا. ولكنه إذا تخلى عن مائه القذر دون تبخيره لإناء آخر يبخر منه، واستقبل التكاثف للماء من الإناء الآخر يحمل عنه أوزاره، لاستقبل هو طاهر مَائِه وغيره معه واحتفظ به طاهرا مطهرا، وتخلص مما كان به من القذارة. وهذا ما قصد من مصاحبة ومؤاخاة الدليل في الله، في قانون الفطرة، وهذا ما قصد بمعاني الخلاص والشفاعة، وركوب السفينة، والدخول من الباب في الأديان القديمة.

هذه هي طريق الامتلاء بماء مصدره غيره بعد التخلص من ماء قذر مصدره عينه. ولكنه إذا قام هو بالاحتراق ابتداء بسوء عمله تبخر ماؤه طاهرا، وبقيت القذارة لإنائه، وأخذه معامله من الغير طاهرا لنفسه وترك له القذارة في إنائه، فإذا جاءه ماء غيره طاهرا في معاملة بظلم الآخرين له اختلط كسبه من الماء برواسب قذارته فأصبح قذرا. فليست هذه هي الطريق السليم لامتلاء الإناء بالماء الطاهر، ولكن الطريق السليم هي التخلص من الماء الموجود بقذارته وطهارته إلى يد أمينة، إلى إناء محترق، إلى إناء مشتعل بنار الله الموقَدة في خدمة الآخرين، ثم استقبال تبخر الماء الطاهر من هذا الإناء إلى إناء الذات نفسها، طاهرا متخلصا من رواسبه. ولله المثل الأعلى في السموات والأرض.. قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا.. هو الذي أعطى كل شيء خلقه.. من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. إن الله لا يظلم الناس. إن الله لا يظلم الخلق. إن الله لا يظلم العباد، ولكن الناس.. ولكن الخلق.. ولكن العباد كانوا أنفسهم يظلمون.. سيد القوم خادمهم.. ليلة القدر خير من ألف شهر.. والليل إذا يسر.. سلام هي حتى مطلع الفجر.

إن الذي أعطى كل شيء خلقه تفضل فهيأ لكل نفس هداها. هداها نعيمها وشقواها. هداها فجورها وتقواها. هداها طريقها وسبيلها إلى جنة فردوسها أو إلى نار معناها ومأواها.

هذا الذي أقول، وهذا الذي أضرب له مثلا، وهذا الذي ندور حوله كلما تلاقينا، وهذا الذي نريد أن نزيده بيانا ووضوحا وقربا للإدراك كلما تناجينا، إنه الدين إن أردنا أن يكون لنا على الدين مدخل، وإنه طريق اليقين إن أردنا أن يكون لنا إلى الحق مسير، وإنه حوض الحياة إذا أردنا لأنفسنا من ماء الحياة ارتواء. إن هذا الذي تأتينا به السماء بالرسالة الروحية في هذا العصر، إنما هو تجديد لما سبق أن جاءت به السماء من قرون عديدة، وتراكم عليه دخان أبناء الأرض يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، حتى عبد الناس تراب اللاهوت أصلا لهم، ونسوا ما وراء التراب، وما تحت التراب. إن الحي في قبره تحت التراب ووراء التراب بمنشق الأرض عنه نسيه الناس وغفل عنه الناس، وهو قابع في مقابر قلوبهم حيا في قبره، ولو أنهم دفنوا أنفسهم في أرض الخمول من أنفسهم، ولم يشغلهم عنه شاغل من الدنيا، هذه الدنيا التي يحيونها في مادتها ويطمعون في الظهور فيها والجاه بها، لو أنهم دفنوا أنفسهم تحت الثرى من ذواتهم، لتلاقوا بالحي المدفون تحت الثرى في أنفسهم. من حج ولم يزره فقد جفاه. ومن لم يزره فجفاه فقد قلاه، ومن قلاه فلا حج له، ولا قبلة له، ولا بيت طواف له، ولا بيت لله يُعمر في قلبه، ولا عرفات له، ولا منى تتحقق له، فما عرف، وما طاف وما ازدلف.

إن البيت المعمور إنما هو القلب الذاكر والقلب المذكور. إن القلب الذي أشرق فيه النور فأنار مشكاة وجوده، وقبلة عالمه لحواسه، وعالم عوالمه بجوارحه، وسراج أعلامه بوجه الله له، هو المقصود بزجاجة المشكاة من الصدر. وقالب الصدر قلب يقصد قبلة عوالمه، وسراج أعلامه من التزاوج.

إن بيت الله المعمور في الإنسان إنما هو قلبه وعقله. إنهما بيتان. إنهما بيت مذكور وبيت ذاكر. إنهما بيت رقيق وبيت عتيق. بيت سجين وبيت طليق. بيت مرفوع وبيت موضوع. خلقناكم أزواجا. ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم. إن الله قائم على كل نفس. إن الله يبدأ الكون مع كل كائن. إن الله يبدأ الحقيقة في كل قلب ما طلب القلب الحقيقة فعمر بالحقيقة، وما احتفظ القلب بالحقيقة فقام بالحقيقة. أما القلوب التي جافت الحقيقة وأنكرت على الحقيقة وهي تعمرها، انطلقت منها الحقيقة متخلصة حرة طليقة، وقد فقدتها القلوب إذ لم تحيا بالقلوب القوالب، فأظلمت العقول ولم تشرق بنور الحرية والانطلاق في السماوات والأرض دارا معدة لها، يتواجد بنورها في عالمها ببيتها بالقلب والرأس وجها لمن هو من ورائها محيط، وعليها قائم، إذ اختارت طريق الفناء بفقدانها إلى معنى وجهه لمعناها، ولم تسلك طريق البقاء بالعدم بالحرص على معاني وجهها لمادي مبناها في مآلها ومأواها. اختارت اليتم بالانقطاع عن المادة لأصلها وهي منها وبها أدركت أناها واختارت الروح، وهي منها حية، لأصلها وفرعها ومعناها. آمنت أن كل شيء هالك إلا الشيء الذي أصبح وجهه والذي حرص على معاني وجهه لشيئه، إذ ما ظهر الهو في شيء مثل ظهوره في الإنسان ما حرص الإنسان على معناه وعرف أنه لن يترك سدى فحرص على الحياة. فإن لم يحرص على معناه لما أريد له واختار أن يكون إلى سدى بما أراد فقد اختار لأنانيته مصاحبه من مادته من الطين، وجعل مشيئته إلى الطين فشاء الطين لسيادته فطان، فرُدَّ إلى الطين حيث كان وقد فقد معناه وجها للرحمن وعبدا للديان ومعنى للإنسان في كريمه، وحرص على معنى الإنسان في رجيمه وزنيمه، إذ لم يتخلَ عن رجيمه من نشأته ليكون إلى معنى كريمه برحمته فطانت مشيئته، وأظلمت ذاته، فهُدي مباعدا، وبعث مخاصما، وكان الله من ورائه مضله ومضل به من يشاء.

هذا الذي تأتينا به السماء اليوم، هو ما جاءتنا به بالأمس على تمام مع من غاب بنفسه تحت الثرى، فغاب عنا كتابه، وقام منا عنه حجابه، فلم نشهده جديد قديمه، ومعنى مستديمه. ورأيناه مفقودا، ولم ندركه مستوفيا ووليدا. لم نقدره بطائره تحرر إلى ما فوق السموات والأرض، ولم ندركه بظاهره تكرر في الذات والعبد، أمة المؤمنين وأمة الناس ببيته وأهل بيته وعترته وآله. وخاصمناه كلما ظهر، وتابعنا تراب لاهوته كلما قبر. وتكاثف الظلام على المقابر جبالا شامخة بأسمائه فتابعنا جبال الظلام من الأرض منارات، وطفنا حول المقابر مزارات وتمسكانا ترابا للاهوت نذكره اسما ولفظا، ولم ننظر إلى

دائم المدثر في الدثار، نور سوادنا، وماء حياتنا، وروح قيامنا، ووجه ربنا، وحق إلهنا، والحي القيوم لحياتنا. التفتنا عنا عن المدثر شعلة حياتنا، أولى بنا من أنفسنا. التفتنا إلى موقوت الدثار لنا من التراب وظلامه، فعبدنا معانينا للجلباب لأنفسنا وعبدناها للجلابيب بيننا، فتواجد بنا لنفسه الشيطان، وتخلى عنا حقا لنا الرحمن، ففقدنا العز بالمدثر. وقمنا في الذل بالدثار.

غابت من مجتمعنا عن نواظرنا مرايانا بالمؤمنين، كما فيها نرانا على أي الأحوال. وما غابت عن وجودها لنا، ودوام تواجدها منا بيننا، ولكنه العمى لحق البصائر والأبصار، والصمم لحق السميعة والأسماع، فغابت عن النظر والطرق الأبواب، والتوى لنا منا الطريق فسرنا إلى عكس ما نريد بانعكاس ما نرى عما نريد. فباعدنا بيننا وبين الدار، وعبَّدنا أنفسنا للبعد عن المزار، فجيفنا وطفنا حول الجيف، ومتنا والتزمنا المقابر، وانتظرنا القيامة والبعث، والساعة والشفاعة، وفي السماء كما في الأرض تحقيق الوعد والوعيد، أمر لا يدرك فيهما للدثار الجديد، وإن كان الظاهر مرآة الباطن للنظر الحديد، كتاب يقرأ فيه الطالب فيهما ما يريد، فيعلم أنه الحاضر من الغيب القديم والجديد، ويعلم أن باطن الحاضر هو على ما هو الحاضر، يطلب بيقظته من قديمه لنفسه عودا للعالم القديم الجديد، عند من يبدأ ويعيد بمن يبدأ ويعيد، بدءا مبدوءا من جديد، وعودا مشهودا من القديم بالجديد...

يعلم بالمدثر به يقوم وبالحق يسفر، أنه به ليلة قدر، ومظهر أمر، وحوض حياة، وشمس حقيقة. تشتعل منه مصابيح القلوب، فتشرق بين الجوانح، فتمحو ظلام الصدور، وتُجلى لطالب الأمر الأمور، فيستقيم في الله أمره، ولا ينفرط عن الله عقده، فيسود بالله نفسه، ويبلغ بالله رشده، ويعطى الحكم صبيا، ويبعث بالطريق فتيا، ويبعث بالحق كهلا محمودا مرضيا. يعطى الحكم كما أعطي يحيى وقد أُعطي الحكم في سلام مولده لحكم نفسه، وقَهر نفسه، وبعث من رمسه في ذات نفسه وجسده وحسه يوم مات عنها في سلامها، فبعث بالحق حيا بقيامها، فقام عقله مشرقا بنور الله على غريزته متطورة بأمر الله، فاستقامت على أمر الله وعلى نهي الله أقواله وأفعاله وأحواله، ولو أن يحيى كان قد أعطي الحكم على ظاهر الناس، وكان هذا هو المقصود من قول الله، ما جز الناس بيت عتيقه من قالب العقل موضوعا برأسه، وما تلهو برأسه ظاهر نور الله مرفوعا، وما عبثوا بجدثه ظاهر وجود لحي لا يموت، وقلب عالَمٍ لسموات وجود.

إن الناس الذين يجعلون هواهم في حكم الناس والسيادة على الناس، والأمر والنهي في الناس، والقيام في مقام الربوبية والألوهية على الناس، وفرض سلطانهم وإرادتهم ومشيئتهم ووعيهم أربابا على الناس وآلهة لهم، لا يستقيم لهم أمر، ولن يرفع لهم في الناس ذكر. فسيد الناس، خادم الناس.

إن الذي جاء به دين السماء قديما، والذي يأتي به دين السماء جديدا، إنما هو الخدمة للناس، إنما هو الإيثار مرضاة لرب الناس ملك الناس إله الناس. أما ما تأتي به الأرض من دين فهو دين الظلام وأهله، دين الغفلة وأهلها، دين الطين وأهله. إن التوحيد والوحدانية إنما هي رؤية الله من وراء الناس، وجوه إحاطته وحكمته، لعين الرائي المؤمن به في نفسه، الطالب من ربه معه أن يجعل منه له عبدا، وهو يعلم أنه الغني عنه وعن عبوديته، فليتقرب إليه في الضعفاء والمعوزين والفقراء من خلقه، متصدقا بالكبر على أهل الكبر من قومه، متحملا في سبيل ذلك غضبة الطاغوت وعبء الإيثار.

إن الله لا يجعل من عباده سادة على الناس، وهم في دثر الخلق، وهم في ثياب المادة، وهم في جلباب الطين.. اللهم إلا خلقا من طين يتحكم في خلق من طين من شيطان وأبنائه من الشياطين. ولكن الله يجعل ذلك لقلوبهم يوم تحيا هذه القلوب بأمر ربها في خدمة الناس، وذلك حتى لا يجعل من أبدانهم مشاركة لفتنة الشيطان، وضنا بشرف وحظ الوصلة بهم عن الابتذال، فيداول الله أيام الله وهي عديد القرون بين الناس من الأحياء بعضهم لبعض، بين يوم من خدمة ويوم من سيادة، فمن أعطى الناس في يوم حاجتهم عرفهم بالله عليه لضعفهم وجهلهم كان في آخرته مظهر سيادة الله عليهم بضعفه معه وقدرته فوقهم يحملون عرشه بصالحيهم، ويقومون ملائكته بعارفيهم. وهو إذ يكون سيدا فإنه لا يفارق وصفه من الغناء عنهم تخلقا بأخلاق ربه، ويبقى الراعي لهم، الموفي لحاجتهم كما يبقى المفتقر إليه منهم.

إنها قضية آدم وأبناء آدم المكرمين، وآدم وأبناء آدم المهانين. إن الصالح من يرى فيهم اليوم وجوه أبيه أيا ما وجدهم، وسوف يتكشف له فيهم وجه أبيه في يومه أو غده عند قيامته بحقي الحياة، فليتأمل مَنْ مِن بينهم يخالل ليتكشف له الطريق إلى أبوة الشيطان، أو إلى أبوة الرحمن، وهو ما نسميه في الأديان القديمة إبليس وجنوده، والله وملائكته، ولا تقوم العلاقة بينه وبينهم، أو بينهم وبينه في هذه الحالة من الأبوة لهم والبنوة له أو البنوة له والأبوة لهم، أو الأبوة له بيتا لفريق، والبنوة له في بيوت لفريق في حال طريق الرحمن، إلا على أساس من روابط المحبة والحرية والاختيار، {لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها}[1]، ولا تقوم في طريق الشيطان إلا على أساس الغلبة لبعضهم فوق بعض بسلطان القهر والسيادة والجبروت.

إن إنسان اليوم، أو إنسانية اليوم، إنما هم أبناء إنسانية الأمس وأحفاد من قبلهم في الأمرين أو الآدمين. وإن إنسانية الأمس، ما لم تُمسكها يد الله بتوفية وتمام فسترد خلال إنسانية اليوم، مبعوثة في إنسانية الغد. وعلى هذا المثال كانت الإنسانية، وبه هي كائنة، وعلى نسقه سوف تكون في دوام، فنحن أبناء إنسان الأمس، وآباء إنسان الغد، فإذا كان لكم في الغد خلال أبنائكم بعث، فإنما هو بعثكم

بمعاني الأبوة التي هي لإنسانية الأمس عليكم مفاضة منها لكم على إنسانية غدكم بكم، قيام آبائكم في الأبناء، وقيامكم أبناء بالآباء كلمات لله لا أول ولا آخر لها، يوم يتم لها وتتوفى في معنى الإنسان فيه الابن مثل الأب في الله، والأب مثل الابن في الله. إن الذي فاته التمام في أمسه ليتوفاه الله، لن يفوته التمام في غده أن يتوفاه الله، ما سعى إلى كسب معناه من الإنسان لمعناه بحاضر البنيان من طلب أنانية الحق للحق بالحق ذاته، أو طلب التواجد بحقية نفسه مضافة لربه، فالإنسان ما بين قلب وقالب، وما بين قديم وحاضر، وما بين حاضر وقادم يتزاوج بقديمه مع حاضره، ويتزاوج بحاضره مع قادمه ممن يتحاب معه بمعنى بيته وزوجه وولده وصحبه. وذلك إذا تزاوج مع قلبه بقالبه، إذا تزاوج بعقله مع نفسه، إذا تزاوج بغيبه مع شهادته، إذا تزاوج بمعلومه مع مجهوله، إذا تزاوج بروحه مع ذاته.

إن الإنسان لا يعرف طريقه إلى رحمة الله قائمة به، وقائمة عليه، إلا يوم يرحم بما ملك من رحم مستحقا لها، فيزداد بإيثاره مما ملك، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان. هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين. وكان الإنسان أكثر شيء جدلا. فإذا رجع عن مخاصمته انقلب حبيبا لأمر ربه له به يبين، وعن الله يتحدث، وبالحق يقوم، فيصبح لله كلمة ولله بيانا. أما بنعمة ربك فحدث.

إن الإنسان تتخلق فيه المحبة من المخاصمة، ويتخلق فيه العلم من الجهل، ويتخلق فيه القرب من البعد، ويتخلق فيه اليقين من الكفر، ويتخلق فيه الإسلام من المجانبة، ويتخلق فيه الوجود من العدم، ويتخلق فيه النور من الظلام، وتتخلق فيه النار من الخمود، وتتخلق فيه الحركة من الركود.

إن الإنسان أمره في الله عظيم، وأمره في الله عجيب، ما طلب الله وما آمن بالله في نفسه. فلا تؤمنوا بالله بعيدا عن أنفسكم، ولا تتكروا على أنفسكم من الله، وفي أنفسكم أفلا تبصرون. فلا تكونوا ممن في أنفسهم لا يبصرون. اُنظروا وتأملوا فيما حولكم وفي الآفاق، وردوا النظر من الآفاق ومما حولكم بما عرفتم وبما تأملتم، ردوا النظر إلى ما في أنفسكم مما تملكون وتقدرون، ومما لا تملكون ولا تقدرون، وهو ما في الله تقومون. ارجعوا البصر كما أُمر رسول الله بإرجاعه فأرجعه. ارجعوا البصر كرتين، ارجعوا البصر إلى ماضيكم وكيف تواجدتم، وارجعوا البصر إلى مستقبلكم فيما أوجدتم، وارجعوا البصر إلى أنفسكم في حاضركم، إنكم إن صلحتم لأن تكونوا لله ظلال، كنتم ظلالا ذات ثلاث شعب.. انطلقتم إلى الماضي عارفين، وانطلقتم إلى المستقبل عاملين، وانطلقتم في الحاضر مشرقين بنور الله وقد جعل لكم نورا تمشون به في الناس.

هذا هو الحق من ربكم فلا تكونوا من الممترين. لا تذكروا اسم الله تلوكونه بألسنتكم ولا أثر له في قلوبكم، ولا تذكروا اسم رسول الله لفظا تلوكونه بألسنتكم ولا تقومونه فيه بمعانيكم. إن اسم الله يجمعكم في حاضركم من بدئكم من دنياكم، ويكشف لكم عطاءً من الله بآخرتكم في أخراكم. إن اليوم الأول هو الله، وإن اليوم الآخر هو الله. فإذا قيل لكم آمنوا بالله وباليوم الآخر، وقد جعل اليوم الآخر قرين اسم الله، فهذا معناه أن اليوم الأول من الله أمر له بإنسان من حقه توفاه وأكمله، وأمسكته يده علما عليه، ووجها له، وأصلا لكم، إنسان أحسن تقويم واللانهائي هو الذي ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وأن هذا الوجه لله، الذي هو موضع إيمانكم بالله بوصفه القديم يجب أن يقترن إيمانكم به بالإيمان بأنه سوف يتواجد مرة أخرى بينكم ومنكم وسيكون هو اليوم الآخر لكمال آدمكم من ظاهر آدميتكم الباطن إنسانكم يتواجد على أرضكم آدما وبيتا لله مستخلفا، على ما كان في أزلية الله لكم بآدم الله لبدئكم، وهذا ما عناه رسول الله وهو يصارحكم في عبارة خالية من الإشارة يوم قال (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلا آدم، قلت من، قيل ابن مريم، ثم رأيت رجلا أحمر بدين، أعور العين، كأن في عينه نبقة، هو أشبه الخلق بفلان "رجلا سماه"، قلت من، قيل الدجال، والله ليس بأعور)[٢]. ولا أخالني بعيدا عن الصواب إذا قلت إننا في زمانه، وإن إرهاصات الأحداث تهيئ الأسماع لصوت بيانه.

إن الذي قال لكم إن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان ما كان غير كائن إنساني عبر عن معنى الإنسان، رآه في أبيه آدم الله اليوم الأول للخلق بالحق، وهو ما عرف عند نفسه آدما من تعبير آدم عن نفسه من الله وجها له عند أبنائه، وربا لهم لا فرق بينه وبينهم في الله.

وإن محمدا عليه السلام والصلوات، وبه السلام، وبه تكون الصلات، ما كان في حقيقته المدثرة بمظاهر الثياب من المادة، ما كان في حقيقته إلا آدم في دورة آدم في الله، سبق بدورات ويلحق بدورات ليست غيره، وهذا ما عناه بتبليغ الكتاب يوم بلغ إلينا في قوله {قل إن كان للرحمن ولد [فأنا] أول العابدين}[٣] وفي قوله {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}[٤]، وفي قوله {وتمت كلمة ربك}[٥]، فهو ابن إنسان رحمة الله، وإنسان رحمة الله، وروح قدسه، وكلمة الله التامة الجامعة لكلمات لله.

إن لله الأمر من قبل ومن بعد، وفي حاضر. إن لله الأمر، في أول الأمر، وإن لله الأمر في آخر الأمر، وإن لله الأمر في قائم الأمر. إن الذين يؤمنون بالله قديما ولا يؤمنون باليوم الآخر متجليا ظاهرا.. إن الذين لا يعرفون أن آدم في تمامه وكماله هو وجه الله، وأن من كان كلمة لله بمعاني الابن له هو وجه لله فالأب وجه أزلية الله، والابن وجه أبدية الله في تمام لأبيه، فلا يؤمنون بظهور هذا الأمر في قابل لهم من حياة الإنسان، وقد آمنوا بهذا الأمر في قديمهم من حياة الإنسان فييأسون من روح

الله لأنفسهم كافرين، لا يقبل منهم إيمان. ألم ترَ أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها.. هؤلاء لا يعرفون الله، ولا يؤمنون بالله لأنهم يباعدون بينهم وبين يدي رحمته تقلهم وتظلهم وترعاهم في حاضر، وتسفر لهم في قابل بإنسان الله في أنفسهم.

الدنيا والآخرة يومان لله، حاضر الإنسان بدنياه يوم أول، وقابل الإنسان بداني أخراه يوم آخر، وحيثما وجد الإنسان كانت دنياه، وحيثما صار كانت أخراه. فإذا وجد الإنسان في حياة الروح كانت حياة عالم المادة آخرته واليوم الآخر له، إن قدر له أن يكون له بها عمل. وإذا وجد الإنسان في حياة عالم المادة، كانت حياة عالم الروح آخرته واليوم الآخر إذا قدرت له فيها إفاقة ومواصلة عمل. ولا تختلف حياة عالم الروح عن حياة عالم المادة عند الأحياء بالله فيهما، فهم بين حياتين لعالمين من المادة والروح، هم فيهما بين الكسب والجزاء، وغيرهم بين اليقظة والغفلة في العالمين حتى يدركوا من الجزاء الرغبة في الكسب، ومن الكسب الأمل في الجزاء. إنهما حياتان تتبادلان الإنسان، ويتبادلهما بين ظاهر داني وباطن متداني، بين حاضر مدرك وغيب غير مدرك، بين معلوم ومجهول، بين ميسر له وممتنع عليه. إن كان في حياة عالم الروح يقظا مدركا فهو في دنياه بها يطلب آخرة له، ويراها حياة عمل له على ما تُرى حياة عالم المادة. وإن كان في حياة عالم المادة فإنه لا يفارقه وصفه بالروح، ولكنه في حياة الكسب والمجاهدة والتحصيل، أما الحصيلة فينتظرها في حياة عالم الجزاء. فالإيمان بالآخرة أمر يقترن بالإيمان بالدنيا. فحياة الروح دنيا لمن يؤمن بها داني حياة. فالدنيا أيضا في حاجة لأن يؤمن الإنسان بها، سواء في حياة عالم المادة، أو حياة عالم الروح، وإيمانه بها يوم يعرفها ما هي وما تكون، فإذا عرفها ساعة في سرمدي الحياة ولمحة في دهر الوجود، وعرف أن الحياة لطالبها هي في الارتباط بالحي من الإنسان في بارقة من الحب، عَرفَ قوله تعالى {وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر}[٦]، أو هو أقرب، وأدرك عبارة رسول الله - إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها - وما عنى رسول الله بالتعرض للنفحات إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنه إنما يشير إلى لمحات وبارقات تخفى على العمي، ولكنها تبرق أمام عيون تعرضت لرحمة الله، وتفتحت بنور الله. إنه يعني يوم الجمعة، إنه يعني الداعي الذي كمل في الله أناه ومعناه، وأشرق سراجه وذهبت الغيوم عن شمسه.

فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر، وظهر من كانت الشمس عليه دليلا في شمس حقيقته، وابن الإنسان داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، داعيا لا عوج له ضرب له ابن مريم مثلا، إذا أجيبت دعوته كانت الإجابة لله، وكان الاجتماع عليه اجتماع على إنسان الله، إذا نودي للصلاة وما الصلاة إلا الصلة بالله، إذا دعي للصلة بالله ممن فُتح له فتحا مبينا، فأبان للناس أن الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، وما الطاعة إلا لصاحبها، وما المعصية إلا عليه، إذا نودي من هذا

الذي لا عوج له، فَتَقَبل القلب نداءه، ولبس القلب رداءه، ولقى النفس جزاءه وعلم العقل ما قدمت يده وأخرت، وعرف القيام موقوت قيامه في ساعة قيامته، فندم على ما فاته، وطمع فيما هو آت، واستقام فيما هو حاضر، عرف نفسه بفنائها مادة، وعرف نفسه ببقائها بربها روحا، عرف الله من ورائه، ومن وراء من يرى محيطا، وعرف الله بينهما، وعرف الله بهما، وعرف الله قبلهما، وعرف الله بعدهما، وعرف الله فيهما، وعرف الله هما فيه، وعرف الله من ورائهما بإحاطته، دخل في حصن لا إله إلا الله فشهد محمدا رسول الله حقا وصدقا، لا يغيب أبدا، ويتجدد سرمدا، كما كان في أزله هو في أبده، وهو في قائمه عبد الله ورسول الله، يمتد نور الله فيمن ارتضاه ربا لمعناه، وسيدا عليه من مولاه، فرآه منفردا في معناه، أمة عديدا بمبناه، لا عن تعديد لمعناه بل وجوهه في ذاته وبيته من تقييده، لا عن قيود فهو المدينة، وهو الطليق المتسع، وهو السفينة. لا ينفرط له عقد، فلا تفريق فيه، ولا فُرقة معه، فهو أحدية آحاد الله يوم يظهر بأحديته، وهو واحدية الله يوم تعلم به واحديته، وهو كتاب الله يوم يُقرئ الله من يقرأ، وهو وجه الله يوم يشهد الله من يشهد، وهو أذن الله يوم يسمع الله من يسمع، وهو لسان الله يوم ينطق الله من ينطق، وهو يد الله يوم يجعل الله من الإنسان يدا له وعضدا له، يخلق بها السموات والأرض ويوسع بها في قائم السموات والأرض.

ماذا عرف أدعياء الإسلام عن رسول الإسلام؟ وماذا عرفوا بالإسلام عن أنفسهم؟ وماذا عرفوا في الإسلام عن الربوبية لهم وعن الألوهية عليهم؟ وعن الحقيقة قريبة منهم؟ وعن تقدير الله متعاليا لا يدرك على ما يجب أن يعتقده المسلم في الإسلام في جلال عظمته، وقريبا لا يشارك بوجوده أقرب من حبل الوريد عند الموحد على دين الإسلام وتعاليم الإسلام؟ وماذا عرفوا عن الشيطان يجرى من أنفسهم مجرى الدم؟ وماذا عرفوا عن تبديل أمثالهم أوعن منقلبهم؟

إن الذي يأتي هذا البيت بيتا للروح، ودين الروح، وأمر الروح، ومحبة الروح، وفي عقله ذرة من القديم يحتفظ بها لا يصفو ماء إنائه بورود إذ هو لم يرد، فهو لا يصلح لأن يستقبل ماء هذا الحوض وفيض هذه الدار، ليس أهلا لأن ينعم بنعم الروح تُبذل بلا مقابل، وبلا إجهاد، وبلا مطالبة بشاق من عمل، لن يتعرض لنفحة الله من روح الله تداني أرض الناس من سماء الناس في بيت من بيوت الله موضوع، لبيت من بيوت الله مرفوع. اقذفوا إلى خارجكم بكل وعي حمل إليكم، فما حملت إليكم ما حمل يد أمينة، بل حملته إليكم أيدي منحرفة. حرفوا الكلم عن مواضعه، وحرفوا الدين عن أهدافه، فأبعدوا طالبيه عن مراجعه وأبعدوا الكلم عن مواضعه، وقاموا على الناس بظلمات أنفسهم، بظلامها يمتدون باسم النور، ويعلِّمُون باسم التقوى كل أنواع الفجور. أين الدين فيما تقرأون أو فيما

تسمعون؟ اللهم إلا منقول ألفاظ البلاغ من كلمات ترتل في تنغيم، يختار لها الصوت الوسيم، فيظهر للأذن التنغيم، ويخفى على العقل المراد والتعليم.

يتحدثون بلغة الإكبار لمحمد والتمييز له، بنفسية الصديق الجاهل، وليتهم نقدوه. وما أكبر محمد نفسه وما ميزها عما يتقبل الناس له، وما قدم نفسه للناس بما تقبلت له، إلا ليعرف الناس ما تتقبل له نفوسهم في الله يوم يصلحونها لربهم معبدين. ويوم يزعمون إيمانا بالله، يرون محمدا على صورتهم، ولا يدركون أن الدين يطلبهم ليكونوا على صورته. ولو كان على صورتهم لكان إخراج الله له قدوة وأسوة عبثا منه وعبثا بهم.

إن الذي أسرى بمحمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، يسري بكل عبد له من مكان إلى مكان، وإن الذي عرج بمحمد، يعرج بكل عبد له من سماء دنياه إلى سماء وسماء. وإنه إن أسرى بإنسان أو سرى به، أو عرج بإنسان أو أعرج به، إنما يكون ذلك في ظل قانون الله ثابت يلحق كل عبد له، وينفذ في كل متقبل له، ويقوم به كل صالح له، ويعمل مع كل طالب له.

إن شرف محمد، وكرامة محمد، وقيمة محمد، وعظمة محمد أنه طلب فمكن أن يتعادل مع طالب ربه معه قاب قوسين أو أدنى مستعينا بالرفيق الأعلى قائما به، ليقوم بنفسه مع طالبه بمطلوبه ثالوثا لإنسان بيت الله، المؤمن بالرفيق الأعلى ولده وكلمته، وهو له وصلته وروحه ورحمته، وهو للقيوم عليه الحق آدمه ومعناه. إنها الحقيقة على ما عرفها عيسى لنفسه بقيومه في قائمه، بإنسان سيادته على إنسان مسودته.

إن الذين ينكرون على تثليث وتخميس وتسبيع وتعديد حقائق الإنسان في رقيه بوحدانيته، لا يفقهون في فقه التوحيد عن الدين شيئا. إن ثالوث حقائق إنسان الله وعبده الحقي، إنما هو ثالوث الإنسان في معنى بيت الله، وهو ما عناه تبليغ رسالة الإسلام ببيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأنه لا إله غيره ولا معبود سواه، وما أشار إليه من بيوت أذن الله أن توضع ويذكر فيها اسمه بأهلها عباده وحقائقه من الأب والأم والابن والبنت والأخوة والأخوات أهلا لبيت لله من بيوت له. استمع للرسول يقول هؤلاء أهل بيتي، كما يقول سلمان منا أهل البيت، واسمعه وهو يقول من آمن بما آمنت به فكان مني وكنت منه، وليس مني ولا أنا منه من خالف سنتي. إن الوحدانية لله جميعا، وإن الوحدانية معي هي معراج الوحدانية مع رحمة الله، وهذا هو معراج الوحدانية إلى رحمة الله. وأْمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها.

إن الذي بدأ إيمانه ودينه منتسبا إلى المحمد له أب وأم وأصل وكُلّ، فآواه محمده، وقد أدرك يُتمه عن سواه، متخلقا معه بما تخلق ربه به معه، كان يتيما فآواه، وقد أمر أن اليتيم لا يقهر، فلما رأى اليتيم

معه متحققا له فلم يقهره بل احتضنه وأحبه وآواه، وسَرى فيه بنوره، وقد أمر أن يصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه به، فصبر وما كان الوجه المراد إلا وجهه عليه السلام. جاء به الحق إلى حقائق الخلق، ألم يكن الله من ورائه محيط! ألم يكن الله قائما على نفسه، وهو القائم على كل نفس، والمحيط من وراء كل نفس! ألم يقل لكم الرسول: والذي نفس محمد بيده! ألم يقل الله أنه يتوفى الأنفس حين موتها، وقد بَعث بالحق رسوله بعد موته! ألم يعرفكم الله أنه يدا لله وهو يقول لكم إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله! يا يد الله، يا وجه الله، يا ذكر الله، يا اسم الله، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، وأنت في معناك من يد الله فوق أيديهم. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ولا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما. إن الذين يقولون إنهم آمنوا بي ولا يؤمنون بك لا أقبل إيمانهم، لا أقبل منهم إيمانهم بي لأنهم إن صدقوا في الإيمان بي لاستجابوا لأمري من الإيمان بك وبمن على سننك أولى بهم من أنفسهم، مقدريَّ بإمامهم حق قدري، وأنا المعروف لعبادي بعبادي، يوم أتوفاهم قيامهم، فأدعوا كل أُناس بإمامهم، أمة هي فرد وفرد هو أمة ملة إبراهيم حنيفا وقد جعلته أمة هي إبراهيم قانتا لي.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله كما أمركم، وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته. إنكم إن لم تؤمنوا برسولي بينكم منكم لم ينلكم أي الكفلين من رحمتي، فإن الذي يؤتيكم الكفلين من رحمتي هو رسولي، ما قدرتموني حق قدري. إن إيمانكم بقربي لا يختلف عن إيمان الأرض التي تطأونها بقربي. إن الجماد يؤمن بي وإن النبات يؤمن بي وإن الحيوان يؤمن بي ويسبحني، ويعجب من إنكار الكافرين منكم. إني لا أطلب لكم بي إيمانا فيكم كإيمان الجماد، ولا إيمانا كإيمان النبات، ولا إيمانا كإيمان الحيوان، فأنتم في هذا الإيمان قائمون، وإن جهلتم بجهلكم أنفسكم بي مني روحا خالدا، ولكني أطلب لكم بي إيمانا آخر. إني أطلب إلى نفوسكم وعقولكم إيمانا بها لي فأخاطب عقولكم ونفوسكم، وهما مني ومن واسع وجودي، جعلتهما لكم من رحمتي وجودي، عقلان أو نفسان يتقبلان لأمري في نظامي وفعلي، كلاهما خاضع ساجد لمرادي، ينأى ويقرب فِيَّ، ويجانب ويصالح بحكمتي وإرشادي في ظل هديي وإرادتي ومشيئتي، أوجدتهما لنفسي وليعرفا ويتعارفا ويتحدا ويفترقا بحسهما من عين حسي في إدراكهما لوحدانيتي في عين وحدانيتهما. هما عني لا يغفلان، وللوجود الذي أوجدتهما له عين معناي يقومان، وبه لما أوجدت لهما يمتلكان، وبه ينعمان، وله يشغلان، وبه لا يشغلان، ولا يمتلئان، ولا يأبهان. فلا الوجود يملأ موجودهما مما خلقت لهما ولكنهما تخليا عن التواجد بما جعلت لهما ليتجليا بما خلقا له من معاني العبد وربه، أو الرب وعبده ظهورا لنفسي كتابا لي ينشر، وقد خلقت كل شيء بإحاطتي ووحدانيتي ظهورا بوجهه من كنوز غيبي.

إذا لم يقم الدين، ويدور الفكر، وتقوم الحياة اليومية للناس حول هذه المعاني مشهرة مشرقة مُجرَّبة، تدرس وتبحث، وتُعلَّم وتُعلَم فلا دين ولكنها الضلالة، ولا يقين ولكنه الموت، ولا طريق ولكنها الهاوية، ولا صدق ولا صدِّيق ولكنها مصاحبة الشيطان.

لا تضيعوا أوقاتكم سُدى. إن الذي يأخذ منكم حديثا واحدا من هذه الأحاديث المتعددة المتكررة يسمعه فيستقبله بآذان قلبه، لكفاه هذا الحديث في دنياه وفي أخراه، ولكان له كتاب يمينه يوما، بل في يومه يوم يعمل فكره، ويشغل تفكيره به، ويحاول الاستقامة عليه، والعمل به، والتواجد فيه في حدود حاضر وعيه متطلعا إلى مزيد من الفهم فيه، والقيام به، والنشر له.

هذا حديث يخرج من القلب بروح المحبة والرغبة في الخدمة والإيمان بحقيقة الناس، لا تستقبله الآذان ولكنها بظلام النفوس تكفره، ولكن تستقبله القلوب، يوم يتواجد للقلوب صفاء، ويوم يتواجد للعقول وعي، ويوم تهجع النفوس فلا تستعلي ولا تستكبر بعروس ظلامها. هذا حديث عن الخلود للخالدين في الخالد. لا يضيع ولا يفقد فهو خالد بطبيعته عن الخالد.

إن الذي يستمع لهذا الحديث فيتقبله بصدق، تنهار دنياه من أسفله، ويسقط تاج ظلامه عن رأسه ويتفكر في الله مدركا له، أقرب إليه من حبل الوريد حقا وصدقا، ملكوته بين جوانح العباد فعلا ويقينا وحسا. من ورائه ومن وراء الكل بعظمة إحاطة وحدانيته، الناس وجوه الله في الله يُنظر، وهو وجه الله بالله يقوم، لا فضل له فيما وعى، ولا فعل له فيما خدم، ولا استقامة له فيما تواضع، ولا هِمَّة له فيما فعل، ولا ملك له لما بذل. فالأمر من الله وبالله والى الله.

هذه هي حقائق الدين لمن يريد الدين. فأسأل الله لي ولكم أن نكون من أهل الدين. وأسأله لي ولكم أن يجعلنا من أهل اليقين. وأسأله لي ولكم أن يجعل لنا يقينا فيه غير مجذوذ ولا متوقف، وأن يجعل معرفتنا به، ومعرفتنا لأنفسنا فيه، لا ينقطع به مزيدها، ولا يتوقف فيه جديدها، وأن يرفع عنا حجاب الغفلة ليقيم فينا به أصل اليقين ببركة سيد المرسلين وإمام العابدين، وأول الساجدين، ورب العالمين من رب العالمين، برحمته علينا يقوم، وبربه لنواصينا بالخير والهدى يأخذ، وبحقه فينا يتجدد، به نسعد، وبنا لله يُشكر فيُحمد، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وارفع حجاب الغفلة عنا، وقوم سبيلنا حكاما ومحكومين، قادة ومقودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وأنزل اللهم سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وعافنا من شرور أعمالنا، ولا تؤاخذنا بما فعلنا، وعاملنا بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

عن السيد الروح المرشد (سلفربرش) الروح الإنساني القديم، وعبد الله المجرد، والروح القدسي المبارك، رسول الروح الأعظم لمعناه، يتحدث عن مهمته ومهمة الأرواح المرشدة التي تتصل بعالم البشرية من الجانب الآخر لعالم الحياة.

(إني أحاول لكي أفسر قوانين الروح العظيم بلغتكم، والذين يقرأون كلماتي قد لا يرضون أحيانا بتفسيراتي. ولكني في عالم مختلف عنهم وعن عالمهم، فأنا أحيانا محدود بلغتكم وبوسيطي، فلا أستطيع القيام بينكم ظاهرا بإمكانياتي. فإذا فشلنا في الاتفاق، فإما أن النفوس في عالمكم لم ترتقِ لكي تفهم ما نقدم من الحقائق الأعظم، وإما أنني لا أقدر على الإبانة عن كل ما تكنه نفسي والذي هو أكبر من أن تسمح بتفسيره وإبانته لغتكم الأرضية، أو تعجز نفوسكم عن تقبله مفاضا بالإلهام الروحي على نفوسكم المادية. فمن الأفضل.. ونحن مستعدون دائما للخدمة وتعليم القانون.. أن تتقبلوا منا ما نقدمه حتى يحيا سكان العالم المادي على ما أراد لهم الروح العظيم أن يحيوا. أليس من الأكرم أن تبصروا بدلا من أن تكونوا عميا؟ وأن تسمعوا بدلا من أن تكونوا صما؟ وأن تستيقظوا بدلا من أن تكونوا غافلين؟ حاولوا أن تفتحوا نفوسكم للروح العظيم. جاهدوا أن ترنموا نفوسكم مع قوانينه حتى تتوحدوا معه ويتوحد معكم، فتصبح قلوبكم ونفوسكم في سلام، ويختفي النشاز من حياتكم، وتبدأون في حياة لم تحيوها من قبل قط.

لو أن الذين أوتوا المعرفة منكم كانوا أمناء على المعرفة.. فما أعظم ما كنا نؤديه! الذين استمعوا لصوت الروح والذين شاهدوا نفوذ القوانين الروحية في الظواهر التي تربط عالمي الحياة سويا.. لو أنهم تناسوا أنفسهم وتابعونا إلى عليين لأمكننا الحصول لكم على الكثير).

السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النور - ٢٧

٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدَم سبط الشعر، بين رجلين ينطف رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريَم، ثم ذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور العين، كأن عنه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال، أقرب الناس به شبها ابن قطن.." أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير. وعبارة "إن الله ليس بأعور." جاءت في حديث آخر للبخاري ومسلم أيضا.

٣ سورة الزخرف - ٨١

٤ سورة آل عمران - ٥٩

٥ سورة الأنعام - ١١٥

٦ سورة القمر - ٥٠